# المحاضرة السابعة:

## 2-المدرسة الكوفية ونشأتها:

الكوفة مدينة في العراق، سميت بهذا الاسم لأنّ سعداً بن أبي وقاص لمّا فتح القادسية ونزل المسلمون عندئذٍ الأنبار ووجدوا ما وجدوا من حشرات البق، عزموا على الابتعاد عن ذاك المكان، فاختار لهم سعد موضع الكوفة، وقال لهم تكوّفوا هنا أي اجتمعوا ؛والتكوّف التجمع،وقيل سميت الكوفة بذلك لأنّ بها رملة حمراء تخالطها حصباء، والعرب تسمي الرملة الحمراء كوفةً[1].

ولقد اختطّ سعد بن أبي وقاص الكوفة في السنة السابعة عشرة للهجرة؛ أي بعد البصرة بثلاث سنوات، غير أنّ النحو تأخر بالكوفة مدة قرن عن البصرة،والكوفة تقع على سهل واسع مليء بالعشب فيه أزهار تنبت في تربة خصبة بها أمطار غزيرة وجداول كثيرة، تكون عادة مزخرفة بشتى الألوان وبخاصة في فصل الربيع، هذا الموقع شجع الرهبان على بناء دياراتهم بها، فكانت منازل النعمان بن المنذر وديارات أخرى،فطبيعة الكوفة تجمع بين الحضر والبدو[2]،وهي مدينة برية بحرية ولا تفصلها عن العاصمة الإسلامية فواصل طبيعية، لذا كانت مناسبة لجيوش المسلمين فخططوها وخططوا المسجد الجامع ومساجد الأحياء، فكان أكثر سكانها من عرب الجنوب، وهم عشرون ألفا آنذاك اثنا عشر ألفا من اليمانيين وثمانية آلاف من المضريين[3]، ومهما يكن من أمر فإنّه كان بين هذين المصرين تنافس شديد وخلاف كبير من عدّة جهات، فالكوفة علوية والبصرة عثمانية ،ومن الناحية الإثنية كان أهل الكوفة يمانيين وأهل البصرة مضريين، أمّا من الناحية العلمية فكانت الكوفة دار فقه وحديث وقراءات، أمّا البصرة فاختصّت بالعلوم والفلسفة[4] .

فهذه الاختلافات وغيرها مهدت للخلاف النحوي الذي نشب بين المصرين، وكان من نتاج ذلك ظهور مناظرات حامية الوطيس بين علماء ونحاة البلدين، كالمناظرة المشهورة بين الكسائي وسيبويه التي أطلق عليها المسألة الزنبورية.

---

[1] -ينظر مدرسة الكوفة، المخزومي ص2

[2] -ينظر نفسه ،ص3، 4

[3] -ينظر نفسه ،ص6، 7

[4] -ينظر نفسه،ص66

وعلى الرغم من أنّ البصرة مصرت قبل الكوفة غير أنّ الكوفة حظيت بمكانة مرموقة، فكانت قبلة لأنظار العرب وزعمائهم وقادتهم، فكانت مهبط الصحابة ممن شهدوا بدراً ومن أصحاب الشجرة، وكان أبو العباس يقول: بعد أن استمع إلى ابن عياش الكوفي وأبي بكر الهذلي البصري في مناظرة طويلة: «الكوفة بلاد الأدب ووجه العراق وهي غاية الطالب ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف»[5]،وترجع قيمة الكوفة لأسباب منها أنّها كانت مقر القيادة العامة لجيوش المسلمين من القبائل والصحابة جميعاً في المنطقة الوسطى، وكانت مركز الحركات العسكرية، وكانت الكوفة إذاك قاعدة الخلافة الإسلامية في عهد علي بن أبي طالب،ونظرا لمكانة الكوفة العسكرية فقد سميت تسميات توحي بقوّتها العسكرية فقد سميت بكوفة الجند[6] .

وعرفت الكوفة آنذاك بقراءة القرآن والإقراء، ففيها شيوخ كثر حفظوا القرآن وأقبلوا على معرفة القراءات، ففيها ثلاثة من سبعة من أعلام القراءة وهم عاصم بن أبي النجود وحمزة بن حبيب الزيات وعلي بن حمزة الكسائي[7].

كما كانت مدرسة للفقه والفقهاء الذين عُنوا بآيات الأحكام والإفتاء، وقد تصدى لذلك جملة من الصحابة والحاذقين كعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعامر بن شراحيل الشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي[8].

وأمّا النحو في الكوفة فواضح أنّه ظهر فيها بعد ظهوره في البصرة، وكان ذلك قبل قرن من الزمن وتشير الدراسات إلى أنّ الكوفيين أخذوا النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ورسموا لأنفسهم منهجا جديداً يتفق مع منهج أهل البصرة في أشياء ويختلف عنه في أشياء يقول أوليري: يتفق معه في النظرية والمبدأ، ويختلف عنه في التطبيق.[9]

---

[5] – مدرسة الكوفة،ص12

[6] –ينظر نفسه،ص13

[7] –ينظر نفسه،ص22

[8] –ينظر نفسه،ص30

[9] –ينظر نفسه،ص34

وهكذا فقد شرعت الكوفة تنشىء مدرستها النحوية منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، ورسمت لها منهجاً جديداً له طابعه الخاص، يقوم على مناهج الدراسة التي نهجها القراء والمحدِّثون حتّى استقرت هذه المدرسة على يد علي بن حمزة الكسائي وتلميذه يحيى بن زياد الفراء[10].

[10] ـ ينظر مدرسة الكوفة ،ص39

## المحاضرة الثامنة:

### 2-1 أبرز نحاة المدرسة الكوفية (الكسائي وتلامذته):

تتفق أغلب الدراسات النحوية على أنّ للمدرسة الكوفية علَمَينِ بَارِزَيْن في النحو وهما الكسائي والفراء إذا ما افترضنا أنّ ثعلباً قد تزعّم رئاسة هذه المدرسة في فترة متأخرة عنهما، لأنّ النحو ظهر أولاً في البصرة وكان له رجاله أنذاك الذين نهضوا به وأسسوه «وأمّا الكوفة فلم يكن لها تاريخ في الدرس النحوي ،والنحاة الذين عرفتهم الكوفة كانوا تلاميذ البصريين لم يتعمقوا في الدرس ولم يبرعوا فيه»[11] ،ولأنّ الكوفة كانت تُعنى وقتئذٍ بتأديب أبناء الأمراء[12] .

وعلى الرغم من ذلك فإنّ أصحاب الطبقات جعلوا لمدرسة الكوفة نحاةً مصنفين في طبقات ومراتب كما فعلوا مع طبقات البصريين، فقد ذكر الزبيدي في طبقاته عشرين نحوياً من الرؤاسي إلى ثعلب،وسوف نذكر ههنا أهمّ أولئك النحاة وأبرزهم ممّن كان لهم جهد في الدرس النحوي الكوفي وممّن ذاع صيتهم في هذا العلم.

**1-أبو جعفر الرؤاسي**: «هو أبو جعفر محمد بن الحسين مولى محمد بن كعب القرظي لقب بالرؤاسي لكبر رأسه»[13] ،نشأ في الكوفة وانتقل إلى البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء ،صنّف كتاباً في النحو سمّاه الفيصل في النحو، وهو الكتاب الذي زُعِمَ أنّ الخليل قد اطّلع عليه وأفاد منه، كما أنّ سيبويه قد أخذ منه شيئاً وضمّنه كتابه، غير أنّ بعض الدارسين المحدثين يُنقصون من قيمته العلمية مستدلين في ذلك بما جاء على لسان الفراء، وأنّ الرؤاسي لم تكن له أقوال نحوية تميزه وتجعله ذا منزلة علمية كما أُشيع عنه غير القليل النادر[14] ،لذا فقد نفى مهدي المخزومي من المحدثين أن يكون الرؤاسي رأس المدرسة الكوفية[15] .

---

11 -المدارس النحوية الحديثي،ص119

12 -ينظر المرجع نفسه،ص119

13 نشأة النحو،ص69

14 - ينظر مدرسة الكوفة،ص78

15 - ينظر المرجع نفسه،ص78

**2-معاد الهراء**(ت187هـ):هو أبو مسلم ولقّب بالهراء لأنّه «كان يبيع الهروي من الثياب»[16] ،وهو عم الرؤاسي عُرف بأنّه واضع علم الصرف على الرغم من أنّه لم يصنف في النحو ولا في الصرف شيئاً، ولم ترو كتب النحو قولاً له في النحو أو في الصرف غير أنّه كان يؤدب أبناء عبد الملك بن مروان، ممّا يدل على أنّه كان يعرف شيئاً من الأدب والشعر والقراءات، وهو ما تُعنى به الكوفة حقاً.

وينفي بعض الدارسين أن يكون قد وضع علم الصرف كما ذكر السيوطي[17].

**3-الكسائي(ت189هـ)**:

هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي مولى بني أسد أخذ عن الرؤاسي وأدّب أولاد الرشيد، وكان الكسائي بارعاً في النحو «فصيح اللسان لا يُفطنُ لكماله ولا يخيل إليك أنه يعرب وهو يعرب»[18]،ولقد كان الكسائي عالماً بالقراءات قبل النحو وكان ممّن يرجع إليهم الناس في القراءات،وأنّه عرض على حمزة بن حبيب قبل أن يشتغل بصناعة النحو[19]،وأخذ عن عيسى بن عمر والخليل النحو أيضاً ،وأُعجِبَ بالخليل وسأله عن مصدر علمه، لما علم أنّ الخليل قد أخذ علمه من بوادي الحجاز ونجد وتهامة نزل الكسائي إلى تلك البوادي، وبقي فيها مدّة ثم رجع إلى البصرة فوجد الخليل قد وافته المنية، وقد خلفه يونس بن حبيب في حلقات العلم فجلس إليه الكسائي وسمع منه فاجازه يونس، ورجع الكسائي إلى الكوفة ينشر العلم فذاع صيته في النحو، وتقوّى النحو الكوفي وأصبح ينافس النحو البصري،ثم سرعان ما رحل إلى بغداد وضمه الرشيد وقتذاك إليه ليؤدب ولديه الأمين والمأمون ،ويعدّ الكسائي مؤسس النحو الكوفي ؛لأنّه أوّل من خرج عن أساليب البصريين من الكوفيين، وخالفهم وغيّر من أصولهم[20]،وكان الكسائي قد توفي مع محمد بن الحسين الفقيه في يوم واحد وفي مكان واحد فقال الرشيد :دفنت الفقه والنحو برنْبُويَه[21].

---

[16] - طبقات اللغويين والنحويين،ص125

[17] - ينظر مدرسة الكوفة،ص75

[18] طبقات اللغويين والنحويين، ص129

[19] -ينظر مدرسة الكوفة ،ص99

[20] -ينظر المرجع نفسه ،ص119

[21] -ينظر نشأة النحو ،ص71

وكان يجتذب الكسائي في دراسة النحو منهجان، منهج النقل وهو منهج أهل القراء الذي يقوم على الرواية، ومنهج يقوم على العقل أو القياس، وهذا بسبب تكوينه الذي قام على دعامتين بصرية في البداية وكوفية وهي مدرسته الثانية [22]،على أنّه لم يتأثر بالفلسفة الكلامية مباشرة كما هو الشأن لدى البصريين ويظهر عدم تأثره بذلك في آرائه النحوية وبخاصة نظرته للعامل، إذ كان يجعل للعامل الواحد معمولين في آنٍ واحد، وهو ما يعرف بالتنازع، كما كان يجوز عمل الفعل المتعدي إلى واحد في الاسم وفي ضميره أيضاً كقولنا: **(زيداً ضربتُه)** ،حيث ينصب زيداً بالفعل الذي بعده لا بفعل محذوف، ويكون ناصبا لضميره أيضاً[23]،ولقد توسع الكسائي أيّما توسع إذ لم يقس على الشائع فحسب بل امتد به ليشمل ما نطق به العرب المتحضرون، الذين يمكن أن يكون اللحن قد خالطهم ،كما أنّه كان يأخذ بالشاذ والنادر الذين يمنعهما الخليل وسيبويه[24] .

ويبدو أنّ الكسائي كان يودّ أن يعيد «النظر في التأصيل العام لقواعد النحو وأن يفسح فيها للقراءات واللغات الشاذة وبذلك خرج إلى صورة جديدة من النحو»[25]،وقد أرجع بعض المحدثين هذا الأمر إلى علاقة الكسائي بالقراءات، فهو من القراء السبعة الذين تجري في قراءاتهم بعض الحروف الشاذة ن النحو البصري، فخشي الكسائي من اندثارها ومن عدم الاعتراف بها من لدن النحاة، أو أن يُظَن أنّها لا تجري على العربية السليمة[26] .

ومن آرائه في إعراب (الصابئون) في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[المائدة/69]أنه جعلها في موضع رفع عطفاً على اسم إنّ المنصوب قبل تمام الخبر، لذا جعلها قاعدة وهي أنّه يجوز العطف على موضع إنّ واسمها الذي هو الابتداء[27] .

---

22 - ينظر مدرسة الكوفة،ص112

23 - ينظر نفسه،ص114

24 - ينظر شوقي ضيف المدارس النحوية،ص176

25 - ينظر نفسه،ص177

26 - ينظر نفسه،ص176

27 - ينظر نفسه،ص177

**4-الفراء(ت207 هـ)**:هو أبو زكرياء يحي بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي فارسي الأصل، ولد سنة 144هـ بالكوفة، أخذ الحديث والقراءات عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عُيَيْنَة، كما كان يحضر حلقات الفقهاء ورواة الأشعار والأخبار والأيام، كما أخذ عن أبي جعفر الرؤاسي،رحل إلى البصرة وأخذ عن يونس بن حبيب، كان شديد التقرّب من المعتزلة والاعتزال ممّا جعله يقرأ كتب الفلسفة والطب والنجوم، يقول عنه ثمامة بن أشرس «جلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً وفاتشته عن النحو فوجدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيها عارفاً باختلاف القوم وبالنجوم ماهراً وبالطب خبيراً وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً»[28].

ولقد كان للفراء مؤلفات عُنيت بالقرآن ودراساته كمعاني القرآن، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكان من هذه الكتب كلّها نحو الفراء[29]،أمّا عن علاقته بالكسائي فلقد كان الفراء التلميذ الوفيّ للكسائي، حيث أكمل ما بدأه أستاذه وأضاف إليه، فالكسائي هو واضع أسس المدرسة الكوفية وجامع درسها وراسم منهجها، وإنّ الفراء قد اضطلع بعد ذلك ببنائها وتشييدها،«وأعاد النظر في ما جاء به الكسائي فأخذ منه ما يتّفق مع طبيعة المدرسة وبنى منهجها على أساس علمي جديد»[30].

وكان الفراء قبل ذاك قد رحل إلى البصرة كأستاذيه أبي جعفر الرؤاسي والكسائي ليطلب العلم عن علمائها، ويجلس إلى شيوخها ليتعلم الإعراب، وتذكر الروايات أنّه قد جلس في حلقات يونس بن حبيب النحوي الذي خلف الخليل بن أحمد بعد وفاته، فأخذ عنه ووافقه في بعض مسائله كذهابهما إلى مصدرية (الذي)،كما أنّه قد لقي كثيرا من الفصحاء في البصرة فسمع منهم حتى نمى رصيده اللغوي ثم رجع إلى بغداد[31]،فضلاً عن اطّلاعه على كتاب سيبويه، فقد قيل إنّه وجد تحت وسادته بعض منه، وقيل إنّ الجاحظ لما أراد أن يهدي إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم شيئا لم يجد أحسن من كتاب سيبويه، فقد أهداه نسخة بخط الفراء ومراجعة الكسائي[32].

28 -المدارس النحوية،ضيف،ص193

29- ينظر مدرسة الكوفة،ص124

30 -المرجع نفسه،ص127

31 -ينظر نفسه،ص121، 122

32 -ينظر نفسه،ص123

وكان الفراء قد عُني أيضاً بالقرآن، فقد ألّف كتباً نفيسة في مدارسة القرآن وقد سبق ذكرها، فكان منها نحو الفراء؛ لأنّ نحو الكوفة له صلة وثيقة بالأعمال القرآنية، وتعدّ القراءات مصدر من مصادره[33]،وكان مؤلَّفُهُ الحدود من أنفس مؤلفاته اللغوية، عرض فيه الفراء معظم أبواب النحو كحدّ الإعراب، وحد النصب، وحد مِن ورُبَّ، وحد العدد وهلم جراً[34].

ومما يجدر ذكره ههنا هو تأثر الفراء بعلم الكلام، فقد« قيل إنّه كان متكلماً يميل إلى الاعتزال»[35]،يستعمل ألفاظ الفلاسفة، كما كان له اتصال وصحبة بأحد أئمة المعتزلة وهو ثمامة بن أشرس[36]،وكان الكوفيون يرون الفراء عالم زمانه، إذ لولاه لما «كانت اللغة؛ لأنّه حصلها وضبطها، ولولاه لسقطت العربية لأنّها كانت تتنازع ويدعيها كلّ من أراد، ويتكلم الناس عليها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب»[37].

وحينما يقارن أحد الباحثين الفراء بأستاذه الكسائي يرى أنّ الفراء يطغى عليه الجانب اللغوي أكثر من إقراء القرآن وتفسيره، بينما لا يطغى على الكسائي أحد الأمرين على الرغم من اضطلاع الفراء بالدراسات القرآنية والتفسير[38] .

لقد رسم الفراء منهجه النحوي وفق ثلاثة أسس مقتدياً في ذلك بأستاذه الكسائي، وهاته الأسس هي الاتساع في الرواية، والاتساع في القياس، «والاتساع في مخالفة البصريين اتساعاً قد يؤول إلى مدّ القواعد وبسطها بآراء لا تسندها الشواهد اللغوية»[39]،غير أنّ الفراء تميّز عن أستاذه بخصب عقله وسعة ثقافته «وقدرته على الاستنباط و التركيب و التحليل واستخراج القواعد و الأقيسة... »[40]، أضف إلى ذلك حرصه الكبير على تميز النحو الكوفي الذي رسخه بفتح باب الخلاف مع نحاة البصرة، فقد خالفهم في أصول ومسائل هي:أنّه لم يفرّق بين ألقاب الإعراب والبناء، والمسألة الثانية أنّه كان يرى أنّ

[33] -ينظر مدرسة الكوفة،ص124

[34] -ينظر نفسه،ص125، 126

[35] -ينظر نفسه،ص124

[36] -ينظر نفسه،ص124

[37] -نفسه،126

[38] -ينظر نفسه،ص127

[39] -المدارس النحوية شوقي ضيف،ص195

[40] -نفسه،ص196

المصدر مشتق من الفعل أمّا المسألة الثالثة فهي إعراب الأفعال وأنّه أصل فيها كالأسماء، أمّا المسألة الرابعة فهي أقسام الأفعال التي يقسمها البصريون إلى ثلاثة أقسام ماض ومضارع وأمر، أمّا الفراء فيقسمها إلى ماض مضارع ودائم، يريد بالفعل الدائم اسم الفاعل لا فعل الأمر[41]،«أما فعل الأمر فمقتطع عنده من المضارع المجزوم بلام الأمر»[42].

ومن آرائه أيضاً التي رصدها مهدي المخزومي وتتبعها في كتبه ذهابه إلى أنّ نعم وبئس اسمان مبتدآن وليسا فعلين كما يرى البصريون، وقد استدل الفراء على ذلك بقول أعرابي «بُشرَ بمولودة فقيل له نعم المولودة مولودتك قال والله ماهي بنعم الولد»[43]، فدل دخول حرف الجر في قوله(بنعم)على اسميتها[44]،ومن آرائه أيضاً التي نسبها إليه المخزومي ذهابه إلى أنّ لولا ترفع الاسم بعدها، نحو قولنا: لولا زيدٌ لأكرمتُك، أمّا البصريون فيرفعونه على الابتداء[45]،وقد ذهب في مسألة أخرى إلى أنّ العامل في رفع المضارع هو التجرد من النواصب والجوازم، وهو الرأي المشهور بين المعربين، وقد جعل الكسائي العامل فيه هي الحروف الزائدة في أوّله، بينما يجعله البصريون مرفوعا لوقوعه موقع الاسم[46].

ويرجع عامل الخلاف في النصب عند الكوفيين إلى الفراء حيث جعلوا الظروف التي تقع أخباراً ونصب المفعول معه منصوبة على الخلاف كقولنا: (زيدٌ أَمَامَك )وقولهم: (سرتُ والأشجارَ)،وأضاف الفراء أمراً ثالثاً وهو نصب الفعل المضارع الواقع بعد الواو والفاء المسبوقتين بنفي أو طلب كقولهم:

**"لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثله***عار عليك إذا فعلت عظيم"**[47].

كما يظهر من خلال آرائه وأقواله منهج التفسير والتعليل، وبخاصة حينما يتعرّض للإعراب ووجوهه فنراه يفسر الفعل المرفوع بعد حتى فيقول: « لحتى ثلاثة معانٍ في يفعل وثلاثة معانٍ في الأسماء فإذا رأيت

---

[41] -ينظر المدارس النحوية شوقي ضيف،ص196، 197

[42] -نفسه،ص197

[43] -ينظر مدرسة الكوفة،ص134

[44] -وقد نسب ابن الأنباري أبو البركات هذا الرأي للكوفيين عامة دون نسبته إلى الفراء ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ،تأليف محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،ط4، 1961م ج1 ،ص97

[45] -ينظر الإنصاف ج1،ص70 ومدرسة الكوفة ص134

[46] -ينظر مدرسة الكوفة،ص134، 135،وينظر شرح الكافية الرضي الأسترابادي،تعليق يوسف حسن عمر،منشورات جامعة قاريونس،ليبيا،ط2، 1996م، ج4،ص26

[47] -ينظر معاني القرآن الفراء ج1،ص34 مدرسة الكوفة،ص135

قبلها فعلاً ماضياً وبعدها يفعل في معنى مضى، وليس ماقبل حتى يفعل يطول فارفع يفعل بعدها كقولك:(جئت حتى أكونُ معك قريباً)و،كان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد حتى وإن كان ماضياً إذا كان لغير الأول، فيقولون: "سرتُ حتّى يدخلها زيد" فزعم الكسائي أنّه سمع العرب تقول: سرنا حتى تطلعُ الشمس ،فرفع والفعل للشمس، وسمع:إنا لجلوس فما نشعر حتى يسقط حجر بيننا، رفع... »[48] .

ويمكن أن نرجع منهجه هذا إلى تأثره بالفلسفة وميله إلى المتكلمين، وقد ظهر ذلك في تعليلاته وهو ما خالف فيه أستاذه الكسائي الذي كان يميل إلى منهج القراء والمحدّثين كما سبق البيان، وهو ما أدى إلى مخالفة الفراء للكسائي، وذلك راجع إلى أمرين اثنين:

1- إما لاختلاف مقاييس الفراء العامة عن مقاييس الكسائي.

2-إما لاختلافهما «من حيث وجهة النظر الخاصة التي قد تختلف بين حين وحين في الشخص الواحد»[49] .

ويجدر بنا- والحال هذه – الالتفات إلى أهم المسائل التي اختلفا فيها،من ذلك اختلافهما في رفع الفعل المضارع وقد سبق ذكره سلفاً،وكذلك اختلفا في نعم وبئس، فقد رأينا أنّ الفراء يجعلهما اسمين بينما يجعلهما الكسائي فعلين، والأمر نفسه بالنسبة إلى صيغة التعجب القياسية (ما أفعله)،فقد عدها الكسائي مع البصريين صيغة فعلية بينما يرى الفراء أنّها اسمية وقد استدل على هذا بتصغيرها في قول الشاعر:

**ياما أُمَيلِحَ غزْلانا شدَنَّ لنا**

ولو كان فعلا لما صُغّرَ[50].

أنّهما قد اختلفا في تفسير بعض الإعرابات أيضاً في نحو قوله تعالى: (**فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ**) **[النساء:170]** فيجعله الكسائي خبراً منصوباً لكان المحذوفة مع اسمها، ويجعلها الفراء مفعولاً مطلقاً أو نائباً له لاتصاله بالأمر[51] ،والوجهان جائزان في نظرنا.

---

[48] –معاني القرآن، ج1،ص134

[49] –مدرسة الكوفة ،ص141

[50] –ينظر نفسه،ص142

ومما اختلفا فيه من الإعراب رفع المعطوف على اسم (إنّ) في قوله تعالى مثلاً: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ) **[المائدة:69]**فقد رأينا أنّ الكسائي يجعل (الصابئون) معطوفة على اسم إنّ مطلقاً الذي أصله الرفع قبل دخول إنّ عليه، بينما نجد الفراء يقف موقفاً وسطاً «فلم يمنع رفع المعطوف ولم يجوزه مطلقاً بل فصل، وقال:إن خفي إعراب الاسم بكونه مبنياً أو معرباً مقدر الإعراب جاز الحمل على المحل...وإلاّ فلا»[52]

**5-ثعلب(ت291هـ)**:هو أحمد بن يحيى أبو العباس المشهور بثعلب، ولد ببغداد نبغ في النحو، وكان ممتعاً بحافظة واعية، فحفظ كتب الكسائي والفراء، وقرأ كتاب سيبويه[53] ،وقيل عنه إنّه نظر «في النحو وله ثمان عشرة سنة،وصنّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة وكان ثقة صدوقاً حافظاً للغة عالماً بالمعاني»[54]،أخذ عن ابن الأعرابي وابن قادم وسلمة بن عاصم لأنّ الفراء توفي وقد كان عمر ثعلب آنذاك سبع سنين، تسلّم الرئاسة العلمية وتصدّر مجالس التدريس، فكان منافساً شرساً لنظيره المبرد في المدرسة البصرية[55]، فكانت بينهما مناظرات ومشاحنات أدت إلى تجاهل ثعلب للمبرد، وهجرة تلاميذ ثعلب إلى المبرد «وكان المبرد يتفوّق على ثعلب بحسن العبارة وقوة المنطق، لذلك كان ثعلب يتحاشاه ويحجم عن لقائه ومناظرته لأنّه- مع علمه- لم يكن معروفاً بالبلاغة[56]»،وإنّما يكمن أثر ثعلب في المدرسة الكوفية في أنّه كان حارسها الأمين، إذ لم يكن مبدعاً أو مجدداً أو مهذباً له بقدر ما كان له فضل الاستمرار والشهرة[57].

ولقد كان ثعلب يدرس ويطالع كتب أستاذيه الفراء والكسائي، وينقل عنهما بكل أمانة غير عارف بمذهب البصريين ولا طالب للقياس، بل كان يكتفي بقال الفراء وقال الكسائي، وإذا «سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء»[58]،لذا كان يعتدّ بالمسموع عن العرب فقط بلا قياس ولا تعليل ولا فلسفة ولا

---

51 -ينظر مدرسة الكوفة،ص142

52 -نفسه ،ص142، 143

53 -ينظر نشأة النحو،ص73

54 -طبقات اللغويين والنحويين،ص141

55 -ينظر مدرسة الكوفة،ص145

56 - نفسه ،ص148

57 -ينظر نفسه،ص152

58 -إنباه الرواة عن انباه النحاة ،ج1،ص179

يعتد بالأصول الموضوعة الأمر الذي جعله يصف كثيرا من القضايا بالشذوذ، وهو ما جعله يبدو ضعيفاً أمام المبرد الذي كان متسلحاً بالقياس والتعليل والفلسفة[59] .

ولم يكن ثعلب تابعاً للكسائي والفراء في آرائهما كلّها، فقد أُثِرتْ عنه آراء انفرد بها فكان يخالف فيها جمهور نحاة الكوفة حينا ونحاة البصرة حينا آخر، وقد يوافق البصريين في أحايين أخرى، من ذلك مخالفته للفريقين في نصب الفعل بعد اللام وحتى في قولنا: (جئتُ لأكرمَك، وسرتُ حتى أدخلَ المدينة)،حيث ذهب إلى أنّه منصوب باللام وحتى لقيامهما مقام أنْ، بينما ذهب جمهور الكوفيين إلى أنّه منصوب باللام وحتى ، ويذهب البصريون إلى أنه منصوب بأن مضمرة بعدهما[60].

ونجده في مسالة أخرى يتابع البصريين حينما فسّر حذف الواو من مضارع وعد و وزن لاستحالة اجتماع الواو والكسرة للثقل، وثبوتها في يوجَل لأنّ بعدها فتحة وهو رأي البصرة[61]،أما عن مصطلحاته النحوية فقد سار على نهج أستاذيه الكسائي والفراء ولم يخرج عنهما، فقد عبّر بالجحد على النفي وبالخفض على الجر، وسمى اسم الفاعل بالفعل الدائم، وسمى الضمير بالكناية والمكنى، والتمييز بالتفسير والبدل بالترجمة وهكذا[62] ,وقد سار على نهجهما أيضا في عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وجواز الاستشهاد بالقراءات القرآنية، حيث بلغ به الأمر إلى عدم تفضيل إعراب على إعراب آخر إذا اختلفا في القراءات، أمّا إذا كان الاختلاف في كلام الناس فيفضل الأقوى[63] .

---

[59] –ينظر مدرسة الكوفة،ص154

[60] –ينظر نفسه،ص156

[61] –ينظر نفسه ،ص156

[62] –ينظر المدارس النحوية ضيف،ص227

[63] –ينظر نفسه،ص230